

كان يرمي به في هيمان شديد يجعل روحه الطاهرة تكاد تفقد الروابط الجسدية بدون مساعدة خاصة من الرب الذي كان ينشله من الموت .

والعذراء الكلية القداسة التي كانت تدخل حتى أعماق نفسه وحتى يكون فرحها بحصولها على خطيب قديس ومحبوب من الله لهذه الدرجة ، لم تكن تنقطع عن التأمل بأفكاره السامية وصبره غير المتزعزع وسط هذه الآلام الكثيرة التي كان يتحملها بدون أي شك أو تنهد . فلم يكن يطلب أي مهدي لوجعه لأنه لم يكن يعطي الفرصة لذلك ، فمرضته الإلهية كانت تسرع دوماً عندما يكون بحاجة لأي شيء ، وكانت تعضده في ضعفه وأحياناً كانت تأمر الأطمعة أن تشدد قواه فيشكرها على ذلك بحنان.

وفي السنوات الثلاث الأخيرة حين أصبحت أوجاعه أكبر بكثير، لم تعد العذراء أبداً لا ليلاً ولا نهاراً . وعند الضرورة كان ابنها يحل مكانها إلى حد أنه لم ولن يحصل مريض على خدمة كهذه وعلى تعزية وتفريج الآلام نظيره .

ولذا فمن غير المستطاع الكلام عن الاحترام العميق والحب الحنون اللذين كانت تبعثهما في قلبه العارف الجميل هذه العناية الفائقة . كانت مريم الشفوقة تصلي لله أحياناً لكي يعطيها أوجاع خطيبها حتى لا يعود يشعر بها .

أحياناً كانت الملكة السماوية تطلب من ملائكتها إعطاء القوة لمريضها العزيز، فيظهرون له بأجسام بشرية تتألق جمالاً، وكانوا يحتثونه عن الألوهية ويلهونه بكل تقوى بأنغام الأناسيد والموسيقى السماوية .

وسبيل يسوع وأنا شاكرة لك ذلك ولكن ضعفك الآن لم يعد يسمح لك بهذه التضحية . فاسترح إذاً وأنا سأعمل مكانك . فتأثر القديس يوسف حتى الدموع ونزل عند هذا الرجاء المؤثر وأعطى جميع أدوات عمله للفقراء حتى لم يبق منها شيء غير الضروري في المنزل . وإذ تحرر من أعماله استسلم بكليته للتأمل ووصل إلى درجة رفيعة من القداسة ، بعد خطيبته الإلهية ، ففاق بها جميع البشر .

ومن حينه أخذت ملكتنا العظيمة تعمل أكثر من كل وقت ، وتقضي النهار كله وقسماً كبيراً من الليل في عملها . وكانت تنسج الكتان والصوف . وبما أنها كانت تحافظ دوماً على الخلوة ، كانت ترجو بتهديب جارتها المرأة السعيدة فتببع لها أشغالها وتشتري لها الضروري . وبدون شك كان يعطي العالم هذا المثل العظيم ولا يحرم الأم الإلهية من استحقاقاتها ، وإذ لم يكن العمل غير كافٍ كان يسوع يكثر الأطمعة أو يأمر الملائكة بإحضارها ، وغالباً ما كان يضاعف الأشغال بين يدي أمه المحبوبة .

وأشغالها الكثيرة لم تكن تمنعها من أن تعطي خطيبها المُكْرَم كل العناية التي كانت حالته تتطلبها لأنه كان يتألم بمقدار التفضيل الذي كان الله يخصه به والمجد الذي يهبه له . فقد تسمّر على صليب الأمراض المختلفة والأليمة جداً طيلة ثماني سنوات ، كالحميات والصداع الحاد والأمراض العصبية المؤلمة في كل جسمه . وكان يتحمل بالوقت نفسه ألماً آخر ولكنه أطف من الأول رغم أنه حاد أكثر، وسببه الحب الإلهي الذي كان يضطرم به ، والذي

